المحاضرة (4): علم النفس الاجتماعي في العصر الحديث

بالنسبة لمرحلة العصر الحديث نجد عددا غير قليل من المفكرين عرضوا للظواهر النفسية الاجتماعية في مؤلفاتهم وكانت أفكارهم موضوعات تتصل بتخصص علم النفس الاجتماعي.

توماس هوبز T. Hobbes(1679/1588)

يرى "هوبز" الفيلسوف الإنجليزي أن "الملك هو ظل الله على الأرض فيؤمن بسلطته وحكمه المطلق لأن نفوذه مستمد من الحق الإلهي في الحكم." (معوض، 2003، صفحة 33) كما اهتم بحقيقة الطبيعة البشرية والميول والعواطف السائدة لدى البشر من خلال تأكيده: "إنّ الإنسان أناني مغال في إيثاره الدائم لنفسه وأنّه لاصلاح للناس إلّا إذا حد المجتمع بنظمه وقوانينه من هذه الأنانية وأتاح للأفراد أن يعيشوا متجانسين متعاونين .ويلخص "هوبز" دوافع السلوك البشري في البحث عن المتعة والابتعاد عن الألم، أي أنّ الفرد ينزع بسلوكه إلى كل ما يحقق لذّة ويعزف عمّا يؤذيه. (بني جابر، علم النفس الاجتماعي، 2004، صفحة 26)

جون جاك روسو : (1778/1722) :

رأى أنّ الانسان بطبيعته خيّر نقيّ طاهر، طابعه العام نكران الذات لكن الحضارة هيّ التّي أفسدته وصبغته بالشّر. وقال "أنّ كلّ شيء جميل من صنع الخالق ما لم تمسه يد الإنسان، وهي الكلمات التّي افتتح بها كتابه ((إميل))بيد أنّه قال أنّ الشّر لا يأتي إلّا من الاتصال بالنّاس (العمايرة، 1420هـ 1999م، صفحة 245) وقد بسط آراءه في كتابه العقد الاجتماعي سنة .1762

مونتيسيكيو Montesquieu :أخذ البحث في السلوك مع "مونتيسيكيو" وجهة بيئية فقد اعتقد أنّ هناك ارتباط قوّي وواضح بين السلوك البشري والتّغيرات المناخية البيئية العامة ، وأنّ ارتفاع درجات الحرارة يساعد على الخمول والكسل والبرودة تساعد على النّشاط والعمل فالمناخ الحار يساعد على الرق والمناخ البارد لا يساعد على الرق (السيد،عبد الرحمن، 1419 هـ – 1999، صفحة 25)

وكانت فلسفته تتمحور حول سيادة القانون وحرية الفرد في اختيار أسلوب حياته، وقد نادى بسيادة القانون الذي يحكم علاقة الأفراد بالمجتمع وبالدولة. (معوض، 2003، صفحة 33)

شارلز داروينDarwin : بظهور كتاب أصل الأنواع لداروين 1859 الذّي أعلن فيه نظريته عن النّشوء والارتقاء وكان على دراية بالتّطور الخلقي والاجتماعي وكان يؤكد على الصّراع الاجتماعي من أجل البقاء وساعد على تأكيد فكرة الصّراع الاجتماعي المناخ الذّي كان سائدا في القرن التاسع عشر، وقيام الرأسمالية الصناعية (بني جابر، علم النفس الاجتماعي، 2004، صفحة 27)

وقد أوضح "داروين" أهمية الحضارة وماتحويه من لغة وفكر واختراعات وأنظمة اجتماعية وتعاون وتعاطف، مما أوضح له فكرة البقاء للأصلح هذا البقاء الذي على عملية الاختيار أو الانتقاء بالمعنى النفسي والاجتماعي أكثر منه بالمعنى البيولوجي، أي أن البقاء للأصلح من الجوانب العقلية والاجتماعية والخلقية بالإضافة إلى النواحي العضوية أيضا. (معوض، 2003، صفحة 35)

أدم سميث (1723- 1790)

له كتابان يتصلان ببعض موضوعات علم النفس الاجتماعي الأوّل هو : "نظرية العواطف الأخلاقية" الذي يقصد بالتعاطف انفعالنا بعواطف غيرنا فيلاحظ أنّ انفعالات الغير تنقل إلينا بالعدوى فنسعد أن نبكي لما يحدث للآخرين .وفي مقابل حكمنا على الآخرين فهم أيضا يحكمون علينا. (أبو النيل، 2009، صفحة 85)

كتاب "رخاء الأمم" الذي أشار فيه إلى أن قانون المنفعة هو الذي ينظم شؤوننا وعلاقاتنا الاجتماعية.

أرميا بنتام jermy Bentham 1748-1842 أهم إسهام له في علم النفس الاجتماعي كان حول السلوك الاجتماعي الذّي لخصّه في أنّ الناس يطلبون اللّذة ويجتنبون الألم وتقاس اللّذة في نظره بمقاييس أهمها الجانب الاجتماعي والمتمثل هنا في الخوف من الآخرين والذي يسيطر على الأفراد عند ارتكابهم لأي جريمة ما يؤدي إلى إتباع الفرد القوانين، وأنّ منفعة المجموع تشكل المنافع الفردية (أبو النيل، 2009، صفحة 89)

ويليام فوندتwilliamwundt

اتّجه في دراسته لعلم النفس الاجتماعي وجهة تقارب من طريقة لازاروس وشتاينتال، وقد وضع علم النفس الجماهير في مستوى علم النفس التجريبي وقد كتب "فوندت" عشر مجلدات في علم النفس الجماهير لتفسير " العمليات العقلية العليا " أو " السلوك الإنساني " لكن تجاربه في معمله الذي أنشأه سنة 1879 بمدينة ليبزج بألمانيا لم تعطه التفسير التجريبي القائم على الدليل العملي عن هذه العمليات، كما كان حذرا

عند كلامه عن الحقيقة التي تقول أنّ علم النفس يختص بتلك العمليات العقلية العليا، وأكد على ضرورة الإشارة إلى الحياة الحضارية الاجتماعية للإنسان . (أبو النيل، 2009، صفحة 91)

ولقد نظر "فوندت" لعلم النفس الاجتماعي ومواضيعه المختلفة بنفس الطريقة التي كان سيستخدمها في علم النفس التجريبي، فأسس مبادئ وخطوات البحث في علم النفس التجريبي تعتبر أساسا لتلك الميادين والمجالات التي تدرس في علم النفس الاجتماعي على اعتبار أنها النتاج الاجتماعي للفرد ، ومن هذه الميادين هي: اللغة والعادات، والأساطير، والدين، والفن، والقانون .وهكذا نجد أن علم النفس التجريبي وعلم النفس الاجتماعي متكاملين في دراسة الظواهر العامة كدراسة متكاملة، كما رأى "فوندت" ضرورة دراسة الأصول الاجتماعية في المجتمعات البسيطة أو البدائية، وذلك لاعتقاده أن هذه النواحي كاللّغة والعادات والأساطير في تلك المجتمعات الصغيرة ممكن أن يقوم الأخصائي النفسي بدراستها دراسة كاملة " (أبو النيل، 2009، صفحة 91)

و"فونت" لا يفصل بين علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العام فصلا واضحا بينا، فالأول جزء متداخل متكامل مع علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس العام لاغ غنى عنه في فهم العمليات العقلية العليا. (السيد،عبد الرحمن، 1419 هـ - 1999، صفحة 26)

جبرائيل تارد GabrielTard 1843-1904

ألّف كتاب " قوانين التقليد " 1890 حاول أن يحلل منطقيا أشكال التفاعل الاجتماعي وصوره، والتقليد في نظره يشمل

كل التأثيرات التي يمارسها الإنسان على إنسان آخر .ويذهب "تارد" إلى أن التقليد يلعب دورا هاما في تطوير السلوك الإنساني مثل تكوين الجماعة والذي يأتي عن طريق تمثل السلوك والمعتقدات والاتّجاهات وتأثر جماعة بأخرى، كما نجده عند تقليد أهل القرية لأهل المدينة وتقليد من هم أدنى في المستوى الاجتماعي لمن هم أعلى. (أبو النيل، 2009، الصفحات 92-93)

كما رأى أن المجتمع والظواهر الاجتماعية والتطور الاجتماعي تعتمد على ظاهرتين أساسيتين هما المحاكاة والإبداع ، وأن التجديد والإبداع هما الأساس الحقيقي للتطوّر والتقدّم الاجتماعي ثمّ تصبح المحاكاة العنصر الرئيسي لنقل الاختراعات ومظاهر التّقدم (الزعبي، ب ت، صفحة 44)

وليم ماكدوجل Mc Dougal 1871- 1938 (انجليزي)

كان له أثر كبير في النشأة الحديثة لعلم النفس الاجتماعي سنة 1908 .من خلال كتابه " مقدمة في علم النفس الاجتماعي " الذّي اعتبر فتحا جديدا في ميدان هذا العلم الناشئ.

وقد بسط فيه نظريته في الغرائز ووصفها بأنّها المحركات الأولى والدوافع الجوهرية لسلوك الحيوان والإنسان، وقد أصدر "ماكدوجل" كتابه الثاني في علم النفس الاجتماعي بعنوان " العقل الجماعي " . بسط فيه الأسس العامة والخطوط الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي، كما فسر نفسية الشعوب وأخلاقها في ضوء هذه الأسس والخطوط، كما نشأت فكرة هذا العقل الجماعي من اختلاف سلوك الجماعات عن سلوك الأفراد، لذلك افترض "ماكدوجل" وجود عقل جماعي عام يسيطر على سلوك الجماعات ويتميز عن مكوناتها الفردية . (السيد،عبد الرحمن، 1419 هـ – 1999، صفحة 29)

إدوارد روس Ross 1866-1951 (أمريكي)

ألف كتاب "علم النفس الاجتماعي" عام1908 وكان في نفس السنة مع كتاب "ماكدوجل" وقد عرف علم النفس الاجتماعي أنه: "العلم الذي يتناول التفاعل النفسي بين الانسان وبيئته الاجتماعية". فبدون التفاعل الاجتماعي يتوقف نمو الطفل لدرجة قد يصل فيها إلى الضعف العقلي، وقد تأثر "روس" أشد التأثر بأفكار وآراء "تارد" في التقليد والإيحاء واستعان بقوانين التقليد في تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية كالعادات الاجتماعية والرأي العام والجماهير. (معوض، 2003، صفحة 40)

جوستاف لوبون Gustave Lebon 1841-1931

من أهم مؤلفاته " سيكولوجية الجمهور " وحاول وصف الجماعات البشرية واصفا كيفية تأثير الجماعة في الفرد، وكيفية تأثير الفرد في الجماعة من الناحية النفسية وكيفية تأثيراتها الاجتماعية المتفاعلة (الزعبي، ب ت، صفحة 45)

ويذهب "لوبون" أن الحشد ليس مجرد جمع من الناس بل جمع يفترض فيه وجود حالة عقلية معيّنة .ودقق في سلوك دجل الحشد وأنه يمتاز بجملة من الخصائص منها : سرعة التصديق، والاندفاع في التفكير الذي يخلو من التعرف على المساوئ والمزايا والتعصب وتحل روح السيطرة (أبو النيل، 2009، صفحة 93)

كما ذكر "لوبون" أن الذكاء يتعطل عند الجماهير وأن اللاشعور والانفعال الذي يسود عندهم، وأن للجماهير عقلا جمعيا أحط في مستواه من عقول الأفراد الذين تتألف منهم حشود الجماهير ، كما تناول

السمات العامة للجماعة وكيفية تأثيرها على أفرادها مما يجعلهم يسلكون سلوكا يختلف وهم مجتمعين عنه إذا كانوا منفصلين. (الزعبي، ب ت، صفحة 45)

هنا وقد أصبح لعلم النفس الاجتماعي دوريات عديدة من ضمنها تلك التي نشرت عام 1921 باسم مجلة " علم النفس الاجتماعي "Journal of Social Psychology والتي أصبح اسمها حاليا (مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي) والتي تختص بالبحوث والنظريات المتعلقة بالعمليات الاجتماعية ، وديناميات الشخصية مثل التفاعل الاجتماعي والعوامل الاجتماعية في الإدراك، وتغير الاتّجاهات ، والتأثير الاجتماعي ، والعوامل النفسية من الأنظمة الاجتماعية ، وعمليات التنشئة الاجتماعية .....الخ (الزعبي، ب ت، صفحة 49)

وهناك مجلات علمية دورية أخرى منها : (الزعبي، ب ت، صفحة 49)

-Journal of Abfroral And Social Psychology

-Journal Of Social Issues

-Sociometry

-Human Relations

-Social Forces

-Human Ovganization

كما أنشئ في جامعة كولومبيا قسم خاص باسم (قسم علم النفس الاجتماعي) منذ عام 1965وهو أول قسم من نوعه في العالم . (الزعبي، ب ت، صفحة 50)

"وقد تأثر علم النفس الاجتماعي بالحرب العالمية الثانية فظهر الاهتمام بموضوعات مثل : السلوك العدواني لدى الأفراد والمجتمعات ودراسة الزعامة والقيادة سواء في المجتمعات الديمقراطية أو الديكتاتورية". (ابراهيم، 2014، صفحة 20)

"ثم تقدّم علم النفس التجريبي ليشمل موضوعات مثل الاتجاهات النفسية الاجتماعية والتعصب والمعتقدات والإشاعات والروح المعنوية والدعاية والإعلام والعلاقات العامة والرأي العام والانتخابات والاستفتاءات .....الخ مما كان له عظيم الأثر في تقدم التخطيط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والتنمية البشرية" (ابراهيم، 2014، صفحة 20)